التنوع الثقافي وتأسيس علم الأديان

د. عبد الإله بن عبد العزيز بن صالح التويجري

الأستاذ المساعد بجامعة القصيم في السعودية

aatoiejry@gmail.com

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فإن التداخل بين صراعات التنوع الثقافي وتماسك الهوية الدينية مؤثر في تكوين علم الأديان كمكون ثقافي لكل أمة، وهذا البحث يحاول تجسيد علم الأديان عبر التنوع الثقافي، وذلك عبر منهجية تأريخيه تحليلية، تهدف إلى إظهار إجابة السؤال المفترض عن: ما علاقة التنوع الثقافي في تأسيس علم الأديان؟ وما مدى مساهمة علم الأديان في التنوع الثقافي؟ وذلك عبر مدخل مفاهيمي في التنوع والأديان، وثلاثة مقاصد: الأول: في أثر التنوع في التأسيس النظري لعلم الأديان. والثاني: في أثر التنوع في التأسيس العملي لعلم الأديان. والثالث: في أثر علم الأديان في التنوع الثقافي. وخاتمة في مستقبل علم الأديان في عالم متنوع. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

مدخل مفاهيمي:

بناء المعرفة التراكمي جعل من المصطلحات والمعاني العلمية تداخلاً واشتراكًا يوجب ضرورة إيضاح الألفاظ المتداولة ولاسيما عند اختلاف التخصصات والمناهج، ولهذا كان في تقدمة هذا البحث الإيضاح المفاهيمي لأهم المصطلحات المفتاحية: التنوع الثقافي – علم الأديان.

أولا: التنوع الثقافي:

إن الثقافة باعتبارها مضافة للتنوع تحمل في طياتها معاني واسعة في المكان والزمان، وإن كان في أصلها اللغوي تدل على إقامة الشيء وتكميله والظفر به [1] لكن تطورها الدلالي جعل منها دلالة على مفهوم التعلم المختص بكل أمة يميزها عن غيرها. وهذا المفهوم تكون وتطور عبر المدارس و المناهج المختلفة: (ففي

الغرب يعرفون الثقافة على: أنها تراث... بمعنى أن مشكلاتها ذات علاقة وظيفية بالإنسان (فلسفة الانسان) وفي البلاد الاشتراكية ... على أنها علاقة وظيفية بالجماعة (فلسفة المجتمع))[٢] ويرى مالك بن نبي أن الثقافة: مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته... هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته. بما يتضمنه من عادات متجانسة وعبقريات متقاربة وتقاليد متكاملة وأذواق متناسبة وعواطف متشابهة وبعبارة جامعة: هي كل ما يعطي الحضارة سماتها الخاصة.[٣]

وهذا المصطلح (الثقافة) حينما يضاف الى التنوع والتعددية يدل على ثقافات متمايزة لكل العالم، ولهذا ظهر مصطلح (التنوع الثقافي) في الأدبيات الدولية والفكرية ليشكل مفهومًا مكملًا للتنوع البيولوجي المادي الذي يعيش تحدي الانحسار بالتداخل والتدافع الأممي السكاني. لذا (فإن الدعوة إلى هذا التنوع الثقافي هي استجواب واسع، كشكول ينطوي على وقائع ومواقف متناقضة... ويشكل ظاهرة جديدة)[٤] قال عنه د. عمارة: بأنه تنوع مؤسس على تميز وخصوصية.[٥] وللمفكرين الغربيين والشرقيين تداول اصطلاحي واسع حوله. ظهر صداه في منظمة الثقافة والعلوم (اليونسكو)

جاء في إعلان اليونسكو العالمي للتنوع الثقافي بأنه: التراث المشترك للإنسانية وهو قاعدة التعددية الثقافية والمحرك للتنمية[٦]

وهو كما تصفه الأمم المتحدة: مصدرا للنهوض الجماعي وتأسيس حقوق الإنسان وبناء الحريات. وبالتالي يمكن القول بأن مصطلح التنوع الثقافي له سمتان:

الأولى: ما يتميز به كل نوع، إن في الجندر أو في القيم أو العادات أو التأريخ، وهذا يخدم التفكير الأحادي وعنصر الانسان.

الثانية: ما تشترك فيه الأنواع وهو ما يخدم القوى المجتمعية والمنظمات الأممية كما تفعل اليونسكو.

ولذا يظهر التنوع الثقافي في صورة طبيعية ثم تنافسية عبر تكافؤ الفرص ثم إدارة هذا التنوع بالحوار والتبادل والعيش المشترك وبناء الحقوق والحريات على قاعدة الاختيار الراشد بعيداً عن إكراه القوى المختلفة او العولمة المستبدة. وهذا شرط في كون التنوع الثقافي مصدراً لقوة الانسان والمجتمع. وتخلفه يجعل منه عرضة للتفتيت والإضعاف حيث تفتقد الثقة بتساوي الحقوق وسلب الخصوصيات وهو إحدى المشكلات التي تواجهها الثقافات المتنوعة في ظل عمليات العولمة[٧]

وفي الجملة؛ فإن قاعدة التنوع الثقافي تترسخ على مبادئ: العدل الذي يوفر ديمومة الحقوق، ومبدأ الحريات التي تتوفر معه شروط الاختيار، ومبدأ السلم الذي يوفر العيش الآمن، وهي مبادئ أساسية لتطبيق التنوع واستمراره.

(علم الأديان)

ظهر التدين باعتباره سلوكاً ومعتقداً متقدماً على كونه موضوعاً وعلماً للدراسات. ولذا عني الدارسون بالإبانة عن مصطلح الدين وحدوده كمدخل لعلم الأديان، وبالتالي تأسس مفهوم العلم وتسمّى اعتماداً على مفهوم الدين والاختلاف حوله.

إن البحث حول الدين تم مبكراً حاملاً صفة المدافعة والتحليل مصطحباً معه المقارنات، ولاسيما في العصور الرومانية كما في كتابات سيشرون، أو في عصر المسيحية المبكرة كمؤلفات القديس أوغسطين، واتسعت هذه المرافعات والمقارنات في العصر الإسلامي وزادت مع المناهج الكلامية والجدلية.

ومع تقعيد العلوم وتقسيمها وتزاحمها في العصر الإسلامي كان لعلم الأديان حقله الذي نما فيه متقاطعاً مع العلوم الكلامية الاعتقادية أو مع العلوم المنطقية أو مع علوم التاريخ وجغرافيا الانسان.

ولهذا كان محلاً للافتخار أن يقال: علم الأديان إسلامي التأسيس والحضانة والبناء الاولي. وفي هذا يقول آدم ميتز: (كانت الحاجة إلى المعيشة المشتركة وما ينبغي أن يكون فيها من وفاق مما أوجد من أول الامر نوعاً من التسامح الذي لم يكن معروفاً في أوروبا في العصور الوسطى، وظهر من هذا التسامح نشوء علم مقارنة الأديان)[٨] ويؤكد دراز هذا المعنى بقوله : (إن الحديث عن الأديان بعد أن كان في العصور السابقة مغموراً أو في لجة الأحاديث عن شؤون الحياة وإما مدفوعاً في تيار البحوث النفسية أو الجدلية أصبح في كتاب العرب دراسة وصفية واقعية معزولة عن سائر العلوم والفنون، شاملة كافة الأديان المعروفة في عهدهم، فكان لهم السبق في تدوينه علمًا مستقلًا)[٩]

وبرصد حركة التدوين في الأديان يبرز ثلاثة اتجاهات ومناهج في الفكر الاسلامي مؤسسة لهذا العلم:

أولها: المناهج الوصفية للأديان كما في تحقيق ما للهند من مقالة في العقل مقبولة أو مرذولة للبيروني (ت٤٤٠) و الملل والنمل للشهرستاني(ت٥٤٨)

ثانيها: المناهج المقارنة بين الأديان ومنها : كتاب الإعلام بمناقب الاسلام للعامري (٣٨١هـ) ونحوها

ثالثها: المناهج الجدلية والنقدية للأديان المخالفة ومنها: الرد على النصارى للجاحظ (ت٢٥٥هـ) والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (ت٤٥٦) ونحوها.

وتأسس العلم تحت مسميات مختلفة (كالملل أو العلوم الملية أو المذاهب غير الإسلامية أو الديانات)[١٠] ثم مع ظهوره في المدارس الغربية[١١] تسمّى بتاريخ الأديان مقارنة الأديان[١٢]

وفي الجملة فعلم الأديان هو الجهد العلمي المنهجي للدراسة التاريخية والوصفية والمقارنة للأديان. وهذا يشمل تأريخ الاديان وفلسفتها والحالة الجدلية بين الأديان.

مقاصد البحث :

المقصد الأول: في أثر التنوع الثقافي في التأسيس النظري لعلم الأديان.

من نافلة القول؛ أن الأفكار النظرية سابقة للعمليات ومعياراً لها، وكل نظرية انما تنتشر أفكارها إذا كان لها امتداد عملي.

وهذا ما يصدق على علم الأديان فإن المأسسة النظرية له إنما تمت في الفكر الإسلامي عبر مصادر تشريعية وهي: الكتاب العزيز والسنة الصحيحة وسيرة صاحبها عليه الصلاة والسلام العملية. وبها اكتملت مقاصد العلم وأصوله واكتسب المشروعية بأوجه متعددة، كان التنوع الثقافي عاملاً مشتركاً في الدلالة والتقعيد عليه. والمطلب أولا: بيان المحفزات القرآنية لهذا العامل في التأسيس النظري لعلم الأديان:

المحفز الأول: بناء المشترك الإنساني.

إن تأملاً بسيطاً في آيات القران يظهر الدلالات المتفرقة على الشراكة الكونية بين الأحياء على اختلاف أنواعها في هذا الكون، تأكيداً على تماسكها ورباطها الوشيج فيما بينها، فمن تسبيح مشترك[١٣] (تسبح له السماوات والأرض ومن

فيهن)الإسراء٤٤، وتسخير متبادل (وسخر لكم الأنهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار)ابراهيم٣٣-٣٤ ، وتزاوج مؤتلف بهيج (خلق الزوجين الذكر والانثى)الفجر٤٥ ، (جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه)الشورى١١ ، (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم ازواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة)سورة الروم ٢١ . الى توافق وتناغم واختلافات متكاملة في الطبيعة والأحياء، كل ذلك النظام ليألف الانسان ويأنس بالكون وليكون له صديقًا ومطاوعًا ولو كان إنسانًا مثله، أهم المشتركات بين الناس:

أ/ التأسيس الفطري الذي لا يختلف ولا يتفاوت (فطرة الله التي فطر الناس عليها) وبهذه الفطرة تكون الاحساس بالعامل الديني في النفس وتلاقت الأنفس حول حاجاتها.

ب/التأسيس العقلي للإنسان، بحيث يستدل وينظر ويقارن فتحصل به عمارة الارض وعيشة الناس وآيات التفكر والنظر في القران كثيرة: (لعلكم تتفكرون) (لعلكم تعقلون) (لقوم يتفكرون) (قل انظروا) (قل إنما اعظكم بواحدة ... ثم تتفكروا) ونحوها، فالدلالة العقلية عامل مشترك بين الناس يحصل بها التحاكم عند الاختلاف، والمعيارية في فحص التجارب الانسانية.

ج/ التأسيس الأخلاقي للإنسان بحيث يقبل ما يزينه ويرفض ما يشينه من السلوك والأعمال. وهذا تأسيس فطري عقلي بحيث إن النفس تترع الى ما يكملها من الفضائل، وفي القران الكريم إشارات إلى المترع الأخلاقي ومحاكمة الناس كافة إلى أخلاقهم المشتركة: (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عأن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث)سورة الاعراف ٥٧ (خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين) سورة الاعراف ٩٩ (وقولوا للناس حسنًا) سورة البقرة ٨٣، وفي

الحديث : (إنما بعثت لأتمم صالح الاخلاق) [١٤] ومن ذلك النهي عن السب والمشاتمة (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) سورة الأنعام ١٠٨، فهذه الأصول المشتركة في الخلق المختلف هي الطريق الموصل للتعاون والتعارف.

المحفز الثاني : بناء التعاون والتعارف.

إن وظيفة الإنسان بكونه خليفة في الأرض تحتم عليه بذل كل سبيل لعمارتها (واستعمركم فيها) حتى لا يقع فيها (من يفسد فيها ويسفك الدماء) ولبناء هذا المعنى جاء في القران الكريم تنبيهات ومعالم منها: أن الناس تفرقوا ليتعارفوا (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا)سورة الحجرات ١٣، وخاصية التعارف هي التألف. ومنها : التعاون على البر والتقوى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) سورة المائدة ٢. ومنها: التعايش المشترك ووصل الإحسان للناس كما قال تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين و لم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتحسنوا إليهم أن الله يحب المحسنين)سورة الممتحنة٨. ومنها: وصحة المصدر بين الكون والشرائع و انتظام شأنها (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) سورة الملك٣. (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا) سورة النساء٨٢ ، والوحدة بين الشرائع المترلة (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) سورة الشورى ١٤. فالوصايا المشتركة مجالٌ لبناء التنوع وتقاربه بمثل قوله سبحانه: (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) وبمثل تعظيم الأنبياء ورسالتهم (ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا) وهذا المشترك كان محلاً للدعوة كما قال تعالى: (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء) سورة آل عمران ٦٤، قال ابن كثير: (أي

عدل ونَصَف تقوى نحن وانتم فيها)[١٥] ومنها: بناء الدعوة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة...) (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) وذلك هو سبيل الحفاظ على السلم الاجتماعي.

وبالجملة؛ فإن دعوة القران للتعاون ظهرت بترسيخ المبادئ وتطبيق أمثلتها في دعوات الأنبياء وسيرهم مع أقوامهم فدعواهم واحدة (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت).

المحفز الثالث: تأسيس الحقوق الطبيعية وبناء المصالح للناس وإقامة العدل بينهم:

فالقران دعوة لإقامة حق الله وحق الناس، وحقوق الناس وردت في آيات كثيرة مقرونه بحق الله، وما من نبي إلا حذر قومه من انتقاص الحقوق والفساد في الأرض : (فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس...) سورة الأعراف٨٥ (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) سورة الأعراف٧٤ . (ويل للمطففين) سورة المطففين ١، وفي آيات الوصايا العشر المذكورة في سورة الأنعام ١٥١-١٥٣ وفي سورة الإسراء ٢٣-٢٩ تأسيس وتفعيل لنماذج من الحقوق للإنسان. وكل ذلك تكريم للإنسانية بوصفها الطبيعي الآدمي (ولقد كرمنا بني ادم..) وبهذا التكريم تمت لهم أسباب المعيشة (وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) سورة الإسراء٧٠. وفي حجة الوداع كان من وصايا النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته (أيها الناس إن ربكم واحد وإن اباكم واحد وإنه لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ...إلا بالتقوى)[١٦] وفيها إلغاء لكل تمييز عنصري أو طبقية إلا بمكتسب التقوى، وهذا ما اعترف به كثير من كتاب الغرب[١٧]. وفي تمييز التقوى وتطّلبها حث على رفع مقومات التنوع

الانساني ليصل الى التقوى الضابطة له وهي فضيلة تحمل لزوم إقامة الحق ونفع الخلف ، فإن التفاوت المادي سبب للطغيان وتهذيبه بالتقوى.

وقد شدد النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن ظلم المعاهد أو ايذائه كما في قوله (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة)[١٨] وقال تعليقاً على ظلم ضغينة في الحبشة: (كيف يقدّس الله امة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم)[١٩]

ومن أهم الحقوق التي قررها القرآن بوضوح: حق الاختيار للمعتقد ومنع الاكراه ، فقال سبحانه (لا إكراه في الدين) سورة البقرة ٢٥٦، قال النسفي: (أي لا إجبار على الدين الحق وهو دين الاسلام ، وقيل: هو اخبار بمعنى النهي) [٢٠] وبهذا الحق بقيت الثقافات والأديان في بلاد المسلمين تتوارث إلى زماننا.

المحفز الرابع: عالمية الاسلام:

إن الدعوة إلى الإسلام الخاتم للأديان جاءت متوافقة مع الناس كافة، تحمل في طياتها مقومات العيش في كل مكان وزمان، ويظهر ذلك من وجوه تدل على الامتداد العالمي مع الحفاظ على العادات والثقافات المحلية بشرط أن لا تكون سبيلا لنقض الحقوق ودعوة الاسلام. فمن ذلك: رحمة النبي صلى الله عليه وسلم الواصلة لعموم الخلق بالبلاغ لهذا الدين (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) سورة الانبياء١٠٧. ومن ذلك: الوسطية التي جاء بها الاسلام، كما قال سبحانه: (وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس) سورة البقرة ١٤٣. وهذا الحضور للوسطية تكرر في القران بصيغ مختلفة: كالتأكيد على نفي الحرج وإرادة اليسر وترك العسر والعنت والتخفيف ووضع الآصار وعدم الطغيان والغلو، وفي الحديث: (ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه)[٢١] (وأن أحب الأديان الى الله الحنيفية السمحة) [٢٢] وبهذه الوسطية كانت الشهادة على الناس التي تعني الحضور في

مفاصل التنوع الإنساني والاندماج مع الأمم حيث كانوا والتسامح الايجابي. ومن ذلك : الموسوعية واستيعاب الأديان في التواصل الثقافي، فقد جاء في القران ذكراً لأصول الأديان كما في قوله تعالى: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) سورة الحج ١٧، فهذه الأديان الستة أصول الأديان في العالم بيّن سبحانه حالها وتفاصيل أهلها حيث تنوعهم ومراتبهم مما يحتاجه المسلم لدعوتها والتعايش معها.

المحفز الخامس: بناء البرهنة والاستدلال في القضايا والأحكام.

إن القران الكريم يقيم حججه على البرهنة والاقناع قبل الموعظة والخطابة؛ ولذا رفع من شأن التفكير والنظر ونعى على التقليد وعلى أهله، وطلب البرهنة على القضايا فقال تعالى: (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) سورة النحل٦٤، ومن هذه البرهنة تأسست علوم الإسلام وتقبلت ما خالطها من علوم وتجارب عبر قانون: البرهان التجريبي أو الاستدلال العقلي وإبطال الأدلة الموهمة كالسحر والتنجيم، فكان من سمات العلوم- ولاسيما علم الأديان : تأسسه على الموضوعية حيث كان موقفه من الأديان قائماً على محتواها والعدل مع أصحابها: (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا إنا نصارى) سورة المائدة٨٢. وهذا القرب و البعد له أسبابه الموضوعية. كما إن من الموضوعية: بناء الأحكام على المسميات التي تسمّى بها أهلها من غير استنقاص. ففي كلمة (الدين) اطلقت في القران على الدين الحق وعلى ما يعتقد المخالف له: (لكم دينكم ولي دين) سورة الكافرون ٦. ومثل ذلك: بنو إسرائيل، واليهود، والذين هادوا، والنصارى، والذين قالوا إنا نصارى، والرهبان، والرهبانية، والأحبار [٢٣]

ومن السمات: إظهار المفارقات الحقيقية لكل دين، فنجد في القرآن تفصيلا كثيرا حول تأريخ بني اسرائيل واليهود؛ وذلك للإشارة الى أن ديانة اليهود هي تأريخيه في أغلب أحوالها (وفي هذا تأسيس لعلم تأريخ الأديان)[٢٤] ومثله قوله تعالى: (يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده) سورة آل عمران٦٥. كما نجد في المقابل اهتمامًا بالغًا في مقالات النصارى وإغفالًا لتأريخهم مع قلة احتكاكهم بالمسلمين في وقت التنزيل(وفي هذا تأسيس لعلم فلسفة الأديان) وأما في غالب الآيات المتعلقة بأهل الإشراك فنجد المقارنات بين الشرك والتوحيد (وفي هذا تأسيس لعلم مقارنة الأديان)

إن هذه المحفزات القرآنية كانت حاضرة في التطبيق العملي في السيرة النبوية إذ إن السنة مفسرة للقرآن وقد كانت أغلب حياة النبي في بيئة متنوعة ثقافيًا؛ ففي العهد المكي كان بين المشركين، وفي المدينة مع اليهود والمشركين و المنافقين. ولذا نسوق أمثلة للعيش المشترك مما يعدّ مادة ثرية لعلم الأديان وموسعة له مطلبا ثانياً للتأسيس النظري:

المثال الأول: في بيئة مكة. حيث شهد النبي صلى الله عليه وسلم حلفاً بين بطون مكة وعشائرها لنصرة المظلوم وردّ الحقوق، قال عنه: (لقد شهدت حلف المطيبين مع عمومتي و أنا غلام، فما أحب أن لي حمر النعم وأني أنكثه)[٢٥] فهذا تأسيس لبناء الأحلاف و الهيئات الحقوقية.

المثال الثاني: في بداية العهد المدني (دولة الإسلام) كان تأسيس الحقوق أول المهمات فكانت وثيقة المدينة التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود، قال ابن اسحاق: (وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابًا بين المهاجرين والأنصار ووادع فيه اليهود)[٢٦] فكان فيه بيان لحقوق وواجبات كل طائفة من المسلمين وحلفائهم من اليهود ومما ورد فيه: (أنهم أمة واحدة دون الناس...) (وإن

يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم... وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم... وأن من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة)[٢٧] فهذه الوثيقة هي أمر جامع، ودستور محكم للمصالح العامة للدولة الناشئة، حيث تنظيم المال والأمن والسلم والحرب مع مراعاة التنوع العرقي والديني لكل طرف في هذه الوثيقة، وكل هذا تحت قيادة واحدة للمجتمع (وأنكم مهما اختلفتم في شيء فإن مردّه إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم)[٢٨] وهذه الوثيقة يشهد لمضامينها آيات من القران وأحاديث من السنة الشريفة[٢٩]

المثال الثالث: في أواخر العهد المدني حين استقرار الدولة بعد صلح الحديبية حيث أرسل النبي صلى الله عليه وسلم رسله إلى الملوك والقبائل يدعوهم إلى الإسلام. وفي هذا الانتشار بالرسل والمراسلات تبادل للثقافات، فنجد صاحب الإسكندرية المقوقس يرسل هداياه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويقبلها[٣٠]، وحين أرسل معاذًا الى اليمن نبهه إلى مراعاة واقعهم فقال له صلى الله عليه وسلم: (إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب)[٣١] وأرسل لقيصر الروم (هرقل) بعدما درس واقع مملكته فقال له: (أسلم تسلم وإلا فإن عليك إثم الاريسيين)[٣٢] وفسرها معظم شراح الحديث بالفلاحين أو الأكارين، وإنما هي نسبة الى آريوس الذي عارض التثليث وبقي على التوحيد، فكانت طائفته مضطهدة وعملهم غالبًا الفلاحة[٣٣] ، وفي هذا إشارة الى أهمية الاطلاع على مذاهب الناس قبل دعوتهم وعلى ضرورة التسامح وترك اضطهاد الناس في أديانهم.

وبعد، فإن هذه الأمثلة تشير بوضوح كيف كانت دعاية الإسلام في العصر النبوي وحال الداخلين فيه وقبوله لأحوالهم المختلفة مع كمال عدل ونصح لهم،

فكان تقبلهم له على أحسن حال، وكان بناء الدولة الإسلامية وفق السنن الكونية والشرعية، فظهرت لها حضارة زاخرة وعلوم فاخرة وآداب راسخة، يقول القاضي أبو يوسف: (فلما رأى أهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة منهم، صاروا أشداء على عدو المسلمين، وعونًا لهم على أعدائهم، فبعث أهل كل مدينة ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالاً من قبلهم)[٣٤].

المقصد الثاني: أثر التنوع الثقافي في التأسيس العلمي لعلم الأديان.

بعد العصر النبوي كان اتساع رقعة البلاد الإسلامية وكثرة الداخلين في الإسلام، ووقوع الدولة الإسلامية في واجهة الدول ومقدمتها جعل منها رائدة وقائدة ومقاومة للتحديات الناشئة، وكان من أهم التحديات التي واجهتها، وساهمت في نشوء علم الأديان:

-الحاجة الى بناء دولة متنوعة الاطياف تقوم على المحافظة على الشعائر والتعايش مع الثقافات الجديدة واستلهام تجارب الأمم الأخرى.

-تعدد الألسنة واللغات بجوار لغة الإسلام ومادته اللغة العربية.

-كثرة الجموع الداخلة في الإسلام في فترات وجيزة أحدث فجوات في الفهم الصحيح للدين الجديد؛ مما استوجب كثرة الأسئلة والشكوك مع غلبة الجهال، وهذا سهّل لتنامي تحدى اخر وهو:

-ظهور التيارات المناهضة للتصور الصحيح للإسلام كالشعوبية، أو المعادية له كالمانوية والسانوية، فزاد الكيد للإسلام عبر النفاق والزندقة ... وهذه التحديات وغيرها كانت كالإرهاصات لظهور علم الأديان، ونشير إلى اهم دواعي التأسيس العملي لعلم الأديان مماله علاقة بظاهرة التنوع الثقافي:

أولاً: كان للاختلاط بين المسلمين وغيرهم وحياة التعايش والتسامح الذي ساد في فترات كثيرة أكبر الأثر في التعارف والتقارب وتكوين قضايا مشتركة بين أهل الأديان. فكثرت المصاهرات وأمهات الأولاد من غير الديانة، والتسمي بأسماء عربية، أو الاختتان من قبل المسيحيين. فقد ذكر التأريخ زواج القائد عبدالعزيز بن موسى بن نصير من أرملة الملك لذريق[٣٥] بل كان للأعياد حضور في الاختلاط كما يذكر الشابشتي عن عيد الفصح في بغداد: (فيه منظر عجيب، لأنه لا يبقى نصراني إلا حضره... ولا أحد من أهل الطرب واللهو من المسلمين إلا قصده للتتره فيه)[٣٦] وتولي المناصب والوزارة والتطبيب أمر شائع لا يكاد يخلو منه زمان[٣٧] وحالة التسامح ولدت دفاعاً حقيقياً عن التهديدات المشتركة[٣٨] وعلومًا متبادلة.

ثانيًا: ظاهرة الحوارات والمناظرات بين المسلمين وغيرهم من أهل الأديان من أهم ما ساهم في نشوء هذا العلم. وهذه الحوارات كانت حالة طبيعية وامتدادًا للمعارف القرآنية المؤسسة على الحوار، وهي من ملة إبراهيم المأثورة (فاتبعوا ملة إبراهيم) آل عمران٩٥ حين ناظر وحاجّ[٣٩]. وقد كانت مجالس الخلفاء تشهد جانبا كبيراً منها، قال الدميري : (عقد المأمون المجالس في خلافته للمناظرة في الأديان والمقالات)[٤٠] ويحفظ التأريخ: محاورات أبي قرة الرهاوي في مجلس الخليفة المأمون[٤١]

ثالثاً: تنوع مجالس العلم و اختلاف الناس اليها من جميع الثقافات، فقد ذكر خلف بن المثنى: أنه كان يجتمع عشرة في مجلس لا يعرف مثلهم في تضاد أديانهم ونحلهم، وهم: الخليل بن أحمد النحوي (سني) والحميري الشاعر (رافضي) وصالح بن عبدالقدوس(ثنوي) وسفيان بن مجاشع (صفري) وبشار بن برد (خليع ماجن) وحماد عجرد(زنديق) وابن رأس الجالوت الشاعر(يهودي) وابن نظيرا المتكلم (نصراني) وعمر ابن أخت المؤيد(مجوسي) وروح بن سنان الحراني (صائبي) [٤٢]

وهذا التجمع له دلالة على التبادل الثقافي والاندماج العلمي الذي لا يقيدّه المعتقد الخاص.

والتعلم من المصادر المتاحة المختلفة كان في أوائل العصر الإسلامي، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت تعلّم لغة اليهود[٤٣] وكان للمغيرة بن شعبة غلاماً نصرانياً يعلّم الكتاب الأعجمي في المدينة [٤٤] وروي أن لابن الزبير مائة غلام كل غلام يتكلم لغته وكان ابن الزبير يستخدمهم[٤٥] وكان لابن عباس مترجمٌ يعرف بأبي جمرة الضبعي وكان عارفاً بالفارسية[٤٦]، وهذا الاهتمام بالعلوم المختلفة والألسن المتنوعة كان سائداً في العصور الأولى الإسلامية، فأثمر تنوع المصادر ووفرها في خزائن الكتب والوراقين.

رابعاً: شيوع ترجمة الكتب من وإلى العربية، ففي مطلع المائة الثانية الهجرية بدأت الترجمة، وتوسعت في زمن المأمون، والذي ذكر أنه طلب من ملك الروم خزانة من كتب اليونان [٤٧] وكانت بيت الحكمة رائدة وفيها رتب المترجمون والنقلة بأكثر من لسان، وبعث يحيى البرمكي إلى الهند من يأتيه بعقاقيرها ويكتب عن أديانها ويستقدم من البوذ (البوذيين) من يترجم لغاتها[٤٨] فكان نتاج الترجمة تقارب العلوم وسعة العقول وتطور الجدل الفلسفي وشيوعه.

خامسًا: التواصل المباشر مع أهل الأديان والاحتكاك بأرباب العلوم منهم من غير واسطة، فقد كان بين الخلفاء وملوك الروم خاصة مراسلات كان منها سؤالات دينية كالمراسلة التي وقعت بين هارون الرشيد وقسطنطين وقد دوّن الأجوبة كاتبه أبو الربيع بن الليث [٤٩]، وذكر ابن خلكان عن كمال الدين بن يونس الشافعي أن أهل الذمة كانوا يقرؤون عليه التوراة والإنجيل فيفسرها لهم، وكانوا يعترفون بأنهم لا يجدون مثله.[٥٠]

وكما ذكر المسعودي أنه ذهب إلى كنيسة تكريت ليناظر أبا زكريا النصراني في التثليث[٥١] ، وقد كانت الرحلة لاستكشاف أحوال الناس إحدى الوسائل العلمية المشتهرة، وأحياناً المدفوعة من قبل الخلفاء، ومن أقدم الرحلات رحلة سلام الترجمان إلى جبال المشرق بتكليف من الخليفة الواثق عام ٢٢٧هـ [٥٢]، وكانت رحلة البيروني (ت٤٤٠) نموذجاً فذاً للوثائق والدراسات عن المجتمع الهندي بعاداته وأديانه وثقافته، وكتابه (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذوله) نتاج تلك الرحلة الطويلة والمعارف الواسعة ومن أهمها اتقان اللغة السنسكريتية لغة بلد الرحلة، وبتدوين الرحلات تداخلت العلوم النقلية والجغرافية والإنسانية مما زادت أهميتها..

سادساً: بروز العلماء المهتدين إلى الإسلام، وكتاباتهم حول أديانهم ومعارفهم السابقة، ومن أوائل المهتدين الذين لهم أثرهم الحبر عبدالله بن سلام فكان الشاهد من بني إسرائيل[٥٣] وممن كان له قصب السبق في الكتابة علي بن الطبري من أسرة نصرانية أسلم على يد الخليفة المعتصم العباسي وكتب في الرد على النصارى وفي اتباع نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .[٥٤] فكان لهؤلاء العلماء أثر كبير في إظهار التجارب والمعتقدات الدينية كشاهدي حال وخبراء سابقين، كما كان لهم الأثر في إظهار النصوص الدينية وتبادلها وترجمتها.

سابعاً: توسع الخلافات الكلامية بين الفرق الإسلامية إلى الجدل الكلامي مع أرباب الديانات، كتابية أو وضعية، وكان لرواد مذهب الاعتزال السبق والريادة في إفحام المخالفين من أهل الأديان، لاسيما أن صنعة الجدل تأصلت على أيديهم، فقد ذكر أن لضرار بن عمرو (ت١٩٠) رداً على أهل الملل، ومن أوائل من وصلنا ردّه الجاحظ (ت٢٤٠)[٥٥] والقاضي عبدالجبار(ت٤١٥) [٥٦] ثم تتابع أرباب الكلام في الكتابة، فتأسس علم الأديان متأثراً بعلم الكلام ومحاذيا له في المنهجية

والرواد والمدارس، حيث كان التنوع الثقافي البيئة التي غلبت علم الكلام وجدلياته.

وفي الجملة؛ فإن هذه الدواعي وغيرها كانت البيئة التي ساهمت في التأسيس العملي والبحث والكتابة في الأديان، وكان التنوع الثقافي عاملاً مشتركاً، وغني عن القول : ان هذه الدواعي لا تعني صفاء الأحوال على الدوام أو حياة مثالية بل قد تنقلب إلى تأزم وتوتر بفعل أحد الأسباب، ولاسيما بعد انفلات الأمور وتراكم المظالم، وذلك في أحوال متعددة ولاسيما بعد انقضاء عصر الصحابة رضوان الله عليهم .

المقصد الثالث: أثر علم الأديان على التنوع الثقافي.

لما كان الإسلام بشرائعه وواقعه مؤسساً للتنوع العادل والمستمر كانت علومه منسجمة في ذلك، ولذا نشأت علوم أهل الإسلام على مبادئ التنوع من الموضوعية والموسوعية، ومن بينها علم الأديان، فنسلط الضوء على انعكاسات علم الأديان على مسألة التنوع الثقافي، وحفاظه عليها، ومشاركته في تقويمها وترسيخها، فمن ذلك:

- مركزية الشريعة القائمة على قاعدتي العلم والقدرة في التكاليف جعل من مسألة الإعذار بين الطوائف أصلاً مهماً في التعايش والتفاهم بدلاً من التقاذف، وهذا الأصل كان ظاهراً في الدراسات الدينية المقارنة والجدليات بين أهل الأديان.
- انفتاح العلم على الأديان بتنوعها واستيعابه لها توصيفا ونقداً جعله معيناً مهما في الإثراء المعرفي للثقافات المتنوعة.

- مهمة المقارنة التي ظهرت في التأليف الديني، وبناء العلاقات التشابهية كما قال تعالى عن اليهود والنصارى ومن قبلهم (تشابهت قلوبهم) جعلت من حتمية التنوع أقرب للتفهم.
- البناء العقلي للدراسات النقدية للأديان ولا سيما عند المعتزلة جعل منه قاعدة مشتركة بين الأمم، ولاسيما مع قيام ذلك على المشترك الأخلاقي الفطري حيث العدل والوسطية.
- ظهور التأليف في الأديان من الطوائف المختلفة والمجادلات المتباينة بين أتباع الأديان داخل الديانة أو مع المختلفين، كما في رسائل موسى بن ميمون اليهودي ليهود اليمن حول مسألة المخلّص وكتم الإيمان، أو رسالته إلى البغداديين في مسألة البعث[٥٧] ، وقد استخدم هذه المجادلات الإمام ابن تيمية في رده على النصارى كما في نقله لكلام المؤرخ ابن البطريق في رده على النساطرة.
- رصد الحركة الحضارية للأديان المختلفة في علومهم وآدابهم وأبنيتهم ورسومهم، وتدوين ذلك في مؤلفات الأديان كان له أثره في تطويع التنوع الثقافي للتعايش[٥٨]

إن لهذه الانعكاسات شواهد وتفاصيل تعجز الإحاطة بها، لكن نشير إلى أنموذجين يظهران شيء منها، أحدهما: مؤلف في الأديان، والآخر: بيئة حاضنة لعلم الأديان.

الأنموذج الأول: كتاب الإعلام بمناقب الإسلام لأبي الحسن العامري (ت٣٨١) [٥٩].

بنى الفيلسوف النيسابوري كتابه على المقارنة بين الأديان الستة المذكورة في القرآن : الإسلام واليهودية والنصرانية والمجوسية والصابئة والوثنية، إشارة إلى

محورية القرآن في الجدل الديني، ولذا قرر أن العلوم لدى الأديان إما علوم ملّية (نقلية) أو حكمية (عقلية) وأن الإسلام جاء بها جميعاً، فعقد أول فصول الكتاب في العلم وماهيته، ومؤكداً على أهمية الانفتاح العلمي على الآخر ناعياً على الرافضين المنغلقين في علومهم كما في الفصل العاشر.

اتخذ العامري من أركان الديانة: الاعتقادات، والعبادات، والمعاملات (الأنظمة والعوائد) والمزاجر (الحدود والتعازير) مجالاً للمقارنة، وكان سبيله في ذلك مقتضى العقل الصريح وما يرجحه، وليس المنقولات، وذلك عبر منهجية: المقارنة بين الأشكال المتجانسة لا المتفاوتة، والتدقيق في النسبة للمقولات إلى أهلها، ومقصده: الايضاح لفضيلة الملة الحنيفية على سائر الملل[٦٠] (وأوفى بالمقصد)

من نماذج مقارنته: مبدأ الحرب والجهاد في الأديان، والذي أسماه (العبادة الملكية) لتعلقها بالملك والسياسة، قال: (وهو شيء تشترك فيه الأديان الستة، ولولا قيام أهل الدين بالمحاماة عن دينهم بالسيف لاجتاحهم أعداؤهم ولظهر الفساد... وهؤلاء الثنوية والنصارى الذين يدينون بأن معاونة الدين تكون بالدعاء إليه دون الحرب! لو قصد قاصد بعض هياكلهم بالتخريب... لما كانوا له في ذلك مقارين مع وجودهم السبيل) ثم أشار إلى: محنة الأنبياء مع أقوامهم، وعقد فصلاً في بيان أن الحرب تقع على ثلاث جهات: الجهاد (حرب لمصلحة الديانة) والفتنة (حرب لمصلحة الدنيا) والتصعلك (حرب للسلب والنهب) وأن الأخيرتين نتيجة القوة الغضبية والشهوانية، وهما مذمومان خلافاً للجهاد الذي هو قوة لعمار البلاد والعباد والدفاع عن الدين. ثمَّ بيّن أن جهاد النبي صلى الله عليه وسلم كان على هذه السيرة؛ فخرج من الدنيا ولم يكن ملكاً ولا سلطان لأتباعه غير الإسلام! فلم يكن جهاده قساوة بل مأثرة ورحمة وعند الحاجة إليه (فغرضه في استلال السيف على من ناوأه لم يكن لإزالة نعيمهم ولا انتهاب قنيتهم، بل لو قدر على استصلاح

عباد الله تعالى جدّه من غير حاجة إلى سفك دماء بعضهم لكان ذلك هو الآثر عنده والأحب لديه)[٦١]

الأنموذج الثاني: البيئة الحاضنة لعلم الأديان.

في التأريخ الإسلامي حالات انفتاح وانغلاق متعددة، لها أسبابها المختلفة، لكن السمة الغالبة هي التعايش بين فئات المجتمع المختلفة حين تضعف المؤثرات الغضبية أو الشهوانية، لذا لم يشهد العالم الإسلامي حالات قسر أو هروب جماعي لطائفة معينة كالذي شوهد في تواريخ الأمم الأخرى، ولا سيما أهل ذمة المسلمين.

من أبرز الحالات التأريخية: حالة الأندلس حين حكمها المسلمون، وتكمن أهميتها: بكون الأندلس شهدت تفوقاً علمياً ثم اختفى في حالة الانكسار الشديد للمسلمين ونهاية حكمهم فيها، ولذا نشير إلى أهم مظاهر التنوع الثقافي في حقل الأديان، فمن ذلك:

حالات المراسلة والمناظرات التي جرت بين الطوائف والملوك، كما في رسالة راهب فرنسا وردّ الإمام الباجي عليها، وردّ الإمام ابن حزم على ابن النغريلة اليهودي ونحوها.

كما شهد حلقات العلم المفتوحة لكل الطوائف والتعليم المتبادل بينها، بل وولع شبان النصارى خاصة! (فهم مشرئبون للنظر بعلوم المسلمين وترجمتها بلسانهم)[٦٢] ومن المجالس المشهورة: مجلس ابن القشاوي في طليطلة، وفيه تطرح جميع الأقاويل بلا استثناء[٦٣] ، كما إن اللغة العربية أصبحت لغة التعلم زمن المستنصر بالله الأموي (ت٢٠٥) وبجوارها اللغة اللاتينية، حتى إن الإمام ابن حزم عاب على قوم من العرب كونهم لا يحسنون غير العربية وهم في بلاد الأندلس![٦٤]

يقول غومس: (كانت قرطبة بلداً نصف عربي يتحدث أهله العربية وعجمية الأندلس، ويختلط فيه رنين الأجراس بآذان المؤذن... كانت قرطبة تقبل كل شيء وتتمثله وتحوله إلى شيء آخر بعد تصفيته)[٦٥] وكان لموسى بن ميمون شروحات بالعربية على المشناة وسفر التثنية والجدل.

كان لكل طائفة كبيرهم ولكل مله صاحبها، وجرت بينهم المجادلات والمراسلات، فاشتهر حفص بن ألبر والذي جادله القرطبي في الإعلام[٦٦]، وكان ذلك ضمن المواثيق التي حفظت، ففي كتاب الفاتح عبد العزيز بن موسى بن نصير لمقدم أهل الجزيرة: (إن لهم ذمة الله وذمة رسوله ألا يقدم ولا يؤخر لأحد من أصحابه بسوء، ولا يسبّون، ... ولا يكرهون على دينهم)[٦٧] وقد عقد مجمعاً نصرانياً حضره عموم القساوسة في الجزيرة وغيرها في قرطبة عام ٨٥٢م وبمباركة من الحاكم الأموي ودعماً للتعايش بين المسلمين والنصارى ورفض المناوئين.

كما ظهرت في الأندلس الدراسات اليهودية التلمودية والنحوية العبرية في قرطبة على يد أبي يوسف حسداي شبروط (ت٣٥٩) وكان وزيرا لعبدالرحمن الناصر، وكانت حالة الجدل اليهودي تشاكل حالة الجدل الكلامي الإسلامي![٦٨].

كان التأليف الديني لغير المسلمين ظاهراً مثل: أيلوج المسيحي، وابن النغريلة، ويهوذا اللاوي، ورايموندلول، وغيرهم، ولعلماء المسلمين ردود عليهم، كانت سبباً في إسلام كثير منهم عن اقتناع وطواعية، خلافاً لمن يزعم أن الإسلام انتشر عبر الأطماع المادية!! بل إن حسن العشرة كان حافزاً آخر للتعرف على الإسلام، لذا زادت الروابط الاجتماعية بين الطوائف، فعندما توفي الفقيه الليثي عام ٢٩٨هـ شوهد نفر من النصارى يبكون![٦٩] بل إن القاضي منذر بن سعيد (ت٣٥٥) يخرج مع قاضي النصارى والقضاة لاستقبال وفد من النصارى[٧٠]. إن هذه المقومات الأندلسية جعلت من الإمام أبي محمد بن حزم رائداً في الدراسات

النقدية للأديان، ولاسيما النصوص الدينية (التوراة والإنجيل) أو الديانة النصرانية باعتبار مجاورتها وكثرة أتباعها، وحضور النصوص والوقائع والمشافهات في كتاباته المكثف يدل على قربها وقرب أهلها[٧١].

وبعد، فإن حالة التسامح الأندلسية والتي نهضت بعلم الأديان، وخاصة في عصر الطوائف، لا يصح تعميمها على كافة العصور حتى لا تفقد مصداقيتها؛ فإن حالات من التشدد الفكري كانت حاضرة، كالذي وقع زمن الموحدين، أو بفعل انحيازات زعماء متشددين يقودون إلى تشتيت حالة السلم والأمان[٧٢].

الخاتمة: في مستقبل علم الأديان في عالم متنوع.

لقد تكشفت المقاصد الثلاثة عن العلاقة التبادلية بين حياة التنوع الثقافي ومعلمة علم الأديان، فكانت النظرية الإسلامية والتدبير الواقعي في التأريخ مساهمين لنشوء علم الأديان، وتحصّل من المقاصد حتمية التنوع وضرورة إعادة الدرس الديني المقارن والمبرهن، وبناء الثقة في ذاتية الإسلام وصيرورته وبقائه، وأنه حاضنة الأديان في عالم متنوع ومتقارب، ومدخل ذلك البناء الرشيد للجدل الكلامي والحضور الأخلاقي المكثف. إن تفوق المنظومة الغربية في دراسة الأديان المعاصر، له أسبابه، والتي منها انغلاق العالم الإسلامي وانفتاح الغرب المعاصر بعد رفضه انغلاق الكنيسة ومصادرتها للحقوق، فعمل على تحييدها أو معارضتها وقبول التعددية الدينية عبر العلوم الإنسانية، في حين انغلق المسلمون بعد انفتاح أوائلهم (ألم * غلبت الروم) فحضرت الروم في خطاب مكة مبكراً، وكان دستور دولة المدينة أصدق وثائق علم الأديان، مما يؤكد أنه كلما وجد مجتمع منفتح تطور علم الأديان، وإذا اغلقت نوافذ المجتمع فقد أطبقت كتب المعارف والأديان، وهل ثمة انغلاق في زمن الانترنت!

إن تقوية علم الأديان في عالم اليوم المنفتح صمام أمان لمنع اختلاله، ومن أهم وسائل ذلك:

عودة البناء المنهجي الإسلامي لعلم الأديان وليس عودة محتوياته المرتبطة بزمانها، وعودة الألسنة على اختلافها للدروس الدينية، ومشاركة الجميع للجميع بالحوار والجدل المنضبط بقواعده، وتجنب النقد السلبي القائم على الانتصار للذات والطائفة، وأن يبقى العلم علماً لا يزخرف بمواعظ الترغيب والترهيب التي تفقد مصداقيته، ولاسيما مع تدافع المسائل الدينية بين الطوائف، وأشد من ذلك زخرفة حوار الأديان بالمجاملات والنفاق التي تخفي تحتها الأورام، والخروج النفسي من التبعية للغرب في العلوم والمعارف إلى فضاء العالم الواسع الذي تتلاشى معه هيمنة المركزية الغربية في دراسة وتقويم الأديان.

وهذه المهمة لتقوية دراسة الأديان كما يضطلع بها المختصون الأفراد فإن للدول القدح المعلى منها عبر مؤسساتها، وهي تسير عن خطوة الفرد بألف، ولذا فدورها محوري في بناء قواعد التنوع الثقافي وتحريك عجلة الحوارات الدينية، نسأل الله أن يديم أمن البلاد والعباد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

١٥/ ٣/ ١٤٣٨هـ

أهم المراجع:

١. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبي ت.د. السقا. ط. مكتبة الحرمين. الرياض.
٢. الإعلام بمناقب الإسلام لأبي الحسن العامري حققه د.أحمد غـــراب ط. دار الأصالة. الرياض. ط.١٤٠٨
٣. الإسلام والتعددية د. محمد عمارة دار الرشاد القاهرة ط. الأولى
٤. إعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي. اعتمد في الدورة الحادية والثلاثين، باريس ٢نوفمبر٢٠٠١ .
٥. التنبيه والاشراف للمسعودي ط. ليدن ١٨٩٤م
٦. تأريخ الفكر الأندلسي لآنخل جنثالث ت.د. حسين مؤنس ط. مكتبة الثقافة الدينية
٧. تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي ت.بشار معـــروف. ط.دار الغرب الإسلامي بيروت ١٤١٣هـــ.
٨. التسامح والعدوانية بين الاسلام والغرب د. الحصين ط. جامعة الملـــك سعود ١٤٢٩هـــ
٩. التنوع الثقافي والعولمة لأرمان ت. خليل ط.٢٠٠٨ الفارابي.
١٠. الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس د.خالد الســـيوطي ط. دار قباء القاهرة.
١١. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجـــري أو عصـــر النهضـــة في الإسلام. ميتز آدم ت. محمد ابو ريدة . الدار التونسية للنشر. تـــونس ١٩٨٨م

١٢. حقوق الانسان في وثيقة المدينة المنورة(دراسة مقارنة بالمواثيق الدولية) سليمان السليمان ط. دار جامعة نايف. الرياض ٢٠١٥م
١٣. الخراج لابي يوسف ط. المكتبة السلفية مصر ١٣٩٦هـ
١٤. الدين بحوث ممهدة لدراسة تأريخ الأديان د. محمد دراز ط. مؤسسة اقرأ. القاهرة ٢٠١٤م
١٥. الديارات للشابشتي ت. كوركيس عواد ط. مكتبة المثنى بغداد ١٩٩٦.
١٦. دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند للأعظمي ط. الرشد الرياض ٢٠١٤
١٧. الدعوة الى الإسلام لتوماس أرنولد ص ١٥٩ ت. حسن إبراهيم وآخرون ط. مكتبة النهضة المصرية ١٩٧١م.
١٨. السيرة النبوية لابن هشام ط. مؤسسة علوم القرآن، جدة.
١٩. شرح صحيح مسلم للإمام النووي ط. دار إحياء التراث العربي. بيروت ١٣٩٢هـ
٢٠. العصر العباسي الأول شوقي ضيف ط. دار المعارف ط ١٦
٢١. عيون المناظرات أبو علي السكوني ت. سعيد غراب ط. منشورات الجامعة التونسية ١٩٧٦م
٢٢. علماء النصرانية في الإسلام، لويس شيخو ت. الاب كميل ط. المكتبة البولسية لبنان ١٩٨٣
٢٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ط. دار الكتب العلمية. بيروت.١٤١٠هـ
٢٤. الفهرست لابن النديم ت. رضا ط. طهران ١٣٩١هـ

٢٥. علم مقارنة الاديان عند مفكري الاسلام ابراهيم تركي ط. دار الوفاء مصر٢٠٠٢
٢٦. المعيار المعرب للونشريسي ت.محمد حجي. ط.دار الغرب الإسلامي. بيروت
٢٧. موسى بن ميمون لتماررودافسكي ت. جمال الرفاعي ط. المركز القومي للترجمة. القاهرة ط.٢٠١٣.
٢٨. مواطنون لا ذميون لفهمي هويدي ط. دار الشروق القاهرة ١٤٠٥هـ
٢٩. مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة د. محمود حميد الله. لجنة التأليف والترجمة. القاهرة ١٩٤١م
٣٠. مرويات الوثائق من النبي وإليه د. الصبحى ط. الجامعة الإسلامية بالمدينة ١٤٣٠هـ
٣١. مقارنة الاديان (اليهودية) شلبي ط. القاهرة ١٩٨٨م
٣٢. معجم مقاييس اللغة لابن فارس ط. دار الجيل ١٤٢٠
٣٣. مشكلة الثقافة لمالك بن بني ت. شاهين ط.دار الفكر دمشق ١٩٨٦م.
٣٤. موسوعة الحديث الشريف (برنامج الكتب التسعة) شركة حرف الإلكترونية cd.

ملخص البحث:

تم بناء بحث (التنوع الثقافي وتأسيس علم الأديان) على ثلاثة مقاصد: الأول: في أثر التنوع في التأسيس النظري لعلم الأديان. والثاني: في أثر التنوع في التأسيس العملي لعلم الأديان. والثالث: في أثر علم الأديان في التنوع الثقافي. تجيب عن

السؤال المفترض: ما علاقة التنوع الثقافي في تأسيس علم الأديان؟ وما مدى مساهمة علم الأديان في التنوع الثقافي؟ وذلك بمنهجية تحليلية تأريخية، وقد تكشفت المقاصد الثلاثة عن العلاقة التبادلية بين حياة التنوع الثقافي ومعلمة علم الأديان، فكانت النظرية الإسلامية والتدبير الواقعي في التأريخ مساهمين لنشوء علم الأديان، وتحصّل من المقاصد حتمية التنوع وضرورة إعادة الدرس الديني المقارن والمبرهن، وبناء الثقة في ذاتية الإسلام وصيرورته وبقائه، وأنه حاضنة الأديان في عالم متنوع ومتقارب، ومدخل ذلك البناء الرشيد للجدل الكلامي والحضور الأخلاقي المكثف.

الملخص باللغة الإنجليزية:

Cultural diversity and establishment the Science of Religions

The research (cultural diversity and the establishment of theology) was built on three purposes: First: the impact of diversity in the theoretical establishment of theology. And second: the impact of diversity in the practical establishment of the science of religions. And thirdly: the impact of religious science on cultural diversity. Answer the supposed question: What is the relationship of cultural diversity to the establishment of the science of religions? What is the extent to which religious science contributes to cultural diversity? The theory of Islam and realistic

management in history contributed to the emergence of the science of religions, and the objectives of the inevitability of diversity and the need to restore comparative religious lesson and evidence, and build confidence in the self-Islam and its evolution And that it is the incubator of religions in a diverse and convergent world, and the entrance to that rational construction of verbal debate and intense moral presence.

١ مجمع مقاييس اللغة لابن فارس ٣٨٣/١ (ثقف) ط. دار الجيل ١٤٢٠

٢ مشكلة الثقافة لمالك بن نبي ت. شاهين ص٨٢

٣ المرجع السابق ص ٨٥

٤ ينظر : التنوع الثقافي والعولمة لأرمان ص٢١ ت. خليل ط.٢٠٠٨ الفارابي.

٥ الإسلام والتعددية د. محمد عمارة ص٥ دار الرشاد القاهرة الأولى

٦ إعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي. اعتمد في الدورة الحادية والثلاثين ،باريس ٢نوفمبر ٢٠٠١ المواد١-٣

٧ المرجع السابق ص٢ . والتنوع الثقافي والعولمة ٢١٣ ارمان ماتلار

٨ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام . ميتز آدم تعريب محمد ابوريدة . الدار التونسية للنشر . تونس ١٩٨٨م ، ص٧١.

٩ الدين ص ٢١.

١٠ كماهي أسماء المؤلفات للعلماء، (على الترتيب) البغدادي أو الشهرستاني والعامري والأشعري النوبختي أو المسعودي

١١ غني عن القول بأن تأسس(علم الأديان)في الغرب ظهر مع النهضة الأوربية في القرن التاسع عشر الميلادي وأول من اطلق هذا المسمّى ماكس مولر عام(١٨٦٨م) وكانت حاضنته الدراسات النفسية والاجتماعية والأنثروبولوجيا ولم يتم الا بعد تحييد الدراسات اللاهوتية الإقصائية والاتجاه نحو القبول بالتنوع الثقافي!! ينظر: علم الأديان ص٥٠ لخزعل الماجدي.

١٢ ينظر في التفصيل في هذين المسميين: (مقارنة): علم مقارنة الاديان عند مفكري الاسلام ابراهيم تركي ط. دار الوفاء مصر٢٠٠٢ ص٢٢. مقارنة الاديان (اليهودية) شلبي ط. القاهرة١٩٨٨م ص٣٢ . الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس ط. دار قباء القاهرة ص٨ لخالد السيوطي. تاريخ الاديان د. ط.دار الضياء الكويت

١٣ تكرر هذا المعنى بلفظ التسبيح في القرآن أكثر من ثلاثين مرة وفي غير لفظ التسبيح أكثر.

١٤ رواه البخاري في الادب المفرد (٢٧٣) وصححه الالباني في الصحيحة (٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه

١٥ تفسير ابن كثير عند هذه الآية.

١٦ رواه ابو داود في سننه (٥١١٦)

١٧ ينظر نماذج من اقوالهم: التسامح والعدوانية بين الاسلام والغرب د. الحصين ص٩٦

١٨ رواه البخاري (٦٥١٦)

١٩ رواه ابن ماجه (٤٠١٠) وحسنه البوصيري في مصباح الزجاجة ١٨٣/٤ عن جابر رضي الله عنه.

٢٠ تفسير النسفي ١٢٥/١ ولا يصح كونها منسوخه ، ينظر :تفسير الطبري١٥/٣

٢١ رواه البخاري (٣٩)

٢٢ رواه مسلم (١٤٧٨)

٢٣ لا يخفى على المطلع أن بعضًا من هذه الألفاظ أخذت معنًى اضافيًّا عبر الزمن و العبرة بمعانيها وقت التنزيل.

٢٤ قال بعضهم (كاد القران ان يكون كله لموسى) الاتقان للسيوطي ٢٠٥/١، وذكر الأعظمي أن ثلث القرآن في قصص الأديان. دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص ١٦، ط. الرشد الرياض ٢٠١٤.

٢٥ رواه احمد بسند صحيح (١٦٥٨) و السيرة النبوية لابن هشام ٨٦/١

٢٦ السيرة لابن هشام ٥٧١/٢

٢٧ ينظر في نص الوثيقة : مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي و الخلافة الراشدة د. محمود حميد الله . لجنة التأليف والترجمة. القاهرة(١٩٤١م) ص٤١ . وكتاب: مرويات الوثائق من النبي وإليه د. الصبحى ٢٠٢/١ ط. الجامعة الإسلامية بالمدينة ١٤٣٠هـ

٢٨ مرويات الوثائق المكتوبة من النبي وإليه د. محمد الصبحي ٢٠٢/١

٢٩ لا يستقيم الطعن في صحة الوثيقة لضعف في اسانيدها. حيث صححها جملة من العلماء ولها شواهد من السنة، ينظر : حقوق الانسان في وثيقة المدينة المنورة(دراسة مقارنة بالمواثيق الدولية) سليمان السليمان ط. دار جامعة نايف. الرياض ٢٠١٥م ص٢١٣

٣٠ ينظر المصنف لابن أبي شيبة ٤٧٠/١٢

٣١ رواه البخاري (٦٩٣٧)

٣٢ رواه البخاري (١٣٩٣)

٣٣ ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي /٤٣٥ وفتح الباري ٥٣/١

٣٤ الخراج لابي يوسف ص١٢٩ ط. المكتبة السلفية مصر ١٣٩٦هـ .

٣٥ الدعوة الى الإسلام لتوماس أرنولد ص ١٥٩ ت. حسن إبراهيم وآخرون ط. مكتبة النهضة المصرية ١٩٧١م.

٣٦ الديارات ص ١٤ ت. كوركيس عواد ط. مكتبة المثنى بغداد ١٩٩٦.

٣٧ ينظر: علماء النصرانية في الإسلام، لويس شيخو ت.الاب كميل ص٢٧٠

٣٨ مواطنون لا ذميون لفهمي هويدي ص٥٤ ط. دار الشروق القاهرة١٤٠٥هـ

٣٩ الإحكام في أصول الأحكام لابن ٢١/١

٤٠ حياة الحيوان الكبرى ٧٨/١

٤١ بنظر: عيون المناظرات أبو علي السكوني ت. سعيد غراب ص٢١٣ ط. منشورات الجامعة التونسية ١٩٧٦م

٤٢ تأريخ الإسلام للذهبي ٤٠/٤، الوافي بالوفيات للصفدي ٨٩/١٣.

٤٣ رواه أبو داود (٣٦٤٥)

٤٤ الترتيب الإداري للكتاني ٢٠٧/١.

٤٥ المرجع السابق٢٠٧/١

٤٦ ذكره البخاري في صحيحه (٤١١٩) في حديث وفد عبد القيس

٤٧ شرح لامية العجم للصفدي ٧٩/١

٤٨ ينظر: الفهرست لابن النديم ص٤٨٤ . وينظر: العصر العباسي الأول شوقي ضيف ص١٠٩ ط. دار المعارف ط ١٦

٤٩ تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار ص٧٧

٥٠ وفيات الأعيان لابن خلكان ٣١٤/٥ ت.إحسان عباس ط. دار صادر ١٩٧٧م

٥١ التنبيه والاشراف ص١٣٥ ط. ليدن ١٨٩٤م

٥٢ روى أخبارها ابن خردابة ٢٧٢ في المسالك والممالك ص٧٠

٥٣ ينظر في تفسير آية ١٠ من سورة الاحقاف (وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله).

٥٤ كما في كتابه: الدين والدولة في إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وينظر في تقويم كتاباتهم: المنهج النقدي ووظيفته في توجيه الحوار الديني في كتابات المهتدين إلى الإسلام من أهل الكتاب د. مصطفى بوجمعة

٥٥ ينظر: الفهرست لابن النديم ص٢١٥ ت. رضا ط. طهران ١٣٩١هـ وفيه ذكر لنماذج من علماء المعتزلة ممن كتب في الأديان: بشر بن المعتمر (ت٢١٠) وعيسى بن صبح (ت٢٢٦) أبو الهذيل العلاف(ت٢٦٦) والاسكافي(ت٢٤٠) والوراق أبو عيسى، وأبو علي الجبائي (ت٣٠٣) والواسطي وغيرهم...

٥٦ في كتابه: تثبيت دلائل النبوة والمغني في أبواب التوحيد والعدل.

٥٧ ينظر: موسى بن ميمون لتمارودافسكي ص٣٦. ت. جمال الرفاعي ط. المركز القومي للترجمة. القاهرة ط.٢٠١٣.

٥٨ ينظر على سبيل المثال: الإعلام للعامري ص ١٧٤.

٥٩ حققه د.أحمد غراب ط. دار الأصالة . الرياض. ط.١٤٠٨ وعليها الإحالة.

٦٠ ص ٧٠.

٦١ ينظر: ص: ١٥١، ١٨٩.

٦٢ المعيار المعرب للونشريسي ١٥٥/١١ ت.محمد حجي. ط.دار الغرب الإسلامي. بيروت. وينظر: تأريخ الفكر الأندلسي لآنخل جنثالث ت.د.حسين مؤنس ط.مكتبة الثقافة الدينية ص.٥٤٣ وفيه: حسرات آلبرو القرطبي على ولع شباب النصارى بآداب العرب.

٦٣ الصلة لابن بشكوال ٤٠٤/٢.

٦٤ جمهرة أنساب العرب ص٤٩٨.

٦٥ نقلاً عن تاريخ الفكر الأندلسي ص ٨١.

٦٦ الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبي ص ٥٨ ت.د. السقا. ط. مكتبة الحرمين. الرياض.

٦٧ التأريخ الأندلسي د.الحجي ص ٨٠. ط. دار القلم ط.١٤١٥هـ.

٦٨ تاريخ الفكر الأندلسي ص ٥٤٨، ٥٥١، ٥٦٢.

٦٩ سير أعلام النبلاء ٥١٣/١٣.

٧٠ ينظر: نفح الطيب ٣٧٩/١.

٧١ ينظر: منهج ابن حزم في دراسة الأديان د.محمد حماية، ونقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي د. المقراني .

٧٢ ينظر: تأريخ الفكر الأندلسي ص٣٧٨، والتاريخ الأندلسي ص٤١٤.